خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

(الزوجة الأم)

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

(الزوجة الأم)

هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزىٰ، يلتقي نسبها مع نسب رسول الله ﷺ عند جدهما الرابع (قصي).

كانت تلقب في الجاهلية بالطاهرة؛ لشدة عفافها، وكانوا يصفونها بسيدة نساء قريش، ثم أصبحت بعد ذلك سيدة نساء أهل الجنة بعد زواجها من الرسول ﷺ، فهي أول من آمن، وأول من صدّق، وأول من صلىٰ مع النبي، وهي المرأة التي سلم الله تعالىٰ عليها.

* أخرج النسائي من حديث أنس قال: قال جبريل للنبي ﷺ **(إن الله يقرئ خديجة السلام، فقالت: إن الله هو السلام، وعلىٰ جبريل السلام، وعليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته)**[1].

النشأة الطيبة:

كان خويلد أبو خديجة رجلاً ذكي الفؤاد ملتزمًا بالأخلاق والصدق والوفاء.

وكان ابن عمها ورقة بن نوفل أحد أربعة من حكماء العرب، لم يعبد الأوثان، ولكنه اعتنق النصرانية، وتعلم من كتبها مكارم الأخلاق، فلم يكن يشرب الخمر، ولا يلعب الميسر، وكان يرحم الموءودة ويربيها عنده حتىٰ إذا كبرت ورغب أبوها في استعادتها ردها إليه.

ومن هذا نعلم أن خديجة رضي الله عنها من أعرق العرب نسبًا؛ فقد نبتت في بيت شريف واسع الثراء معروف بالتدين والبعد عن الانغماس في الشهوات، وقد ورثت عن أبويها حسن السيرة وجمال الخلقة والخلق.

زواجها:

لما بلغت سن الزواج تزوجها **(النباش بن زرارة التميمي)**، فولدت ولدين: **«هند ثم هالة»**.

---

(1) رواه النسائي في السنن الكبرىٰ 5/ 94، رقم (8359)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

ثم توفي زوجها تاركًا لها ولولديها منه ثروته الطائلة، ثم تزوجت خديجة بعد ذلك (**عتيق بن عائذ المخزومي**) فولدت له بنتًا يقال لها: «**هند**».

شبت هذه البنت ثم تزوجت ابن عم لها وولدت له محمدًا، عاش هذا الولد وكانت له ذرية أقامت في المدينه المنورة بعد الهجرة، وكان يطلق علىٰ هذه الذرية (**بنو الطاهرة**)، ولم يستمر زواج خديجة مع عتيق.

أولاد خديجة قبل محمد ﷺ :

* هند بن أبي هالة من زوجها الأول.
* هالة بن أبي هالة من زوجها الأول.
* هند بنت عتيق من زوجها الثاني.

وقد عاشوا جميعًا في كنف رسول الله ﷺ، وأسلموا، وكان لهالة وهند صحبة ورواية من رسول الله ﷺ.

زواجها من محمد ﷺ:

كانت رضي الله عنها ذات مال وفير وخير كثير، فعملت بالتجارة بواسطة الأمناء من شباب مكة؛ ولما اتسعت تجارتها احتاجت إلىٰ عمال أكثر، فدلها الناس علىٰ محمد ﷺ، ولاقت تجارتها علىٰ يديه رواجًا غير مسبوق، وربحت ضعف ما كانت تربح.

وكان ميسرة (**غلام خديجة الذي يخرج بالتجارة مع محمد ﷺ**) يصف لخديجة إعجابه بمحمد ﷺ وما يراه من خوارق أثناء رحلته معه، وأعجبت خديجة بأمانة النبي ﷺ وأخلاقه، وربطت بين المعجزات التي رأتها وسمعتها عنه ﷺ وبين الرؤيا التي رأتها في منامها منذ زمن؛ فقد رأت شيئًا عظيمًا يهبط في دارها من سماء مكة فيغمر ضوؤها ما يحيط به من بقاع، وقد قصت تلك الرؤيا علىٰ ابن عمها ورقة بن نوفل فبشرها بأن هذه الشمس المضيئة علامة علىٰ قرب ظهور النبي المنتظر، وأنها ستتزوج منه.

ولقد شعرت خديجة أن محمدًا هو النبي المنتظر، وفكرت بجد في الزواج منه، فأرسلت إلىٰ صديقة لها اسمها (**نفيسة بنت منية**) لتكون وسيطًا لها في هذا الأمر، فعرضت علىٰ النبي ﷺ الأمر بلطف واستجاب لها محمد ﷺ وخطبها وتزوجها.

* كان محمد ﷺ فقيرًا، وكان في الخامسة والعشرين من عمره، بينما خديجة في الأربعين، ولكنه كان زواجًا ناجحًا متكافئًا.

* ولم تنظر رضي الله عنها إلىٰ هذا الزواج إلا نظرة دينية لتفوز بهذا النور النبوي الجليل وتحقق به سعادة الدنيا والآخرة.

* وقبل محمد ﷺ الزواج من أرملة في الأربعين وذات أطفال من غيره وهو في قمة ريعان شبابه.

فكان في هذه الزيجة روح من رعاية الله وعطفه وحنانه.

وقد جاء في السيرة الجليلة: أن رسول الله ﷺ قال: (**ما تزوجت شيئًا من نسائي ولا زوجت شيئًا من بناتي إلا بوحي جاءني به جبريل عليه الصلاة والسلام من ربي**) [1].

أبناء خديجة من محمد ﷺ:

حملت خديجة رضي الله عنها بالقاسم في السنة الثالثة من زواجها بمحمد ﷺ، فسعدت كثيرًا بذلك المولود، ولكنه مات قبل أن يتم رضاعه، فما لبث أن حملت بزينب رضي الله عنها، ثم رزقها الله تعالىٰ رقية فأم كلثوم رضي الله عنهما، ثم رزقها الله تعالىٰ عبد الله الذي لقب بطليب وبالطاهر، ولكنه لم يعش طويلاً بل مات قبل الفطام فحزنت خديجة حزنًا شديدًا؛ لأن أملها في الإنجاب أضحىٰ ضعيفًا، وقد كانت ترجو أن يكون لها من محمد ذكر يحمل اسمه وتقر به عينه، ولكن مشيئة الله وحكمته اقتضت غير ذلك.

وقد شمت المشركون في النبي ﷺ وقالوا عنه: إنه أبتر (**أي: لا ولد له من الذكور يحمل اسمه**) فأنزل الله تعالىٰ:

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر:1،3].

وكانت فاطمة رضي الله عنها آخر الإنجاب من خديجة؛ حيث وضعتها بعد عشر سنوات من الزواج، وفرحا بها كثيرًا؛ حيث كانت أشبه الناس بأبيها ﷺ خلقًا وخلقًا.

* ومن هنا نوجه رسالة لكل أم وكل أب لم يرزقا ذكرًا أن يرضيا بقضاء الله، ويثقا في حكمته؛ فلعل ذلك خير لهما، وأن يطلبا من الرزاق الوهاب فهو الذي ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ [الشورى:49].

---

(1) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء 7/ 251، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

خديجة رضي الله عنها لا صخب ولا نصب:

لقد بشرها جبريل عليه السلام ببيت في الجنة من قصب (أي: لؤلؤ) لاصخب فيه ولا نصب.

ولقد كان هذا جزاءً وفاقًا لما بذلته خديجة رضي الله عنها في بيتها الدنيوي

* لقد حرصت أن تبذل مالها في سبيل دينها، وكان بيتها محصّنًا طاهرًا وعشًّا آمنًا لدين الله عز وجل، فعوضها الله عن ذلك بقصر من لؤلؤ عظيم.

* لقد كانت زوجة هادئة عاقلة، لا تحمل لزوجها صخبًا، فلم تكدر صفوه بالصياح والضجيج؛ بل جعلت بيتها هادئًا مطمئنًا سعيدًا.

* كانت تحرص علىٰ راحه الرسول ﷺ وإبعاده عن التعب والقلق والنصب لأمر المعاش والأولاد، وفرغته للدعوة لدين الله تعالىٰ، فعوضها الله تعالىٰ ذلك البيت الذي لا نصب فيه في الجنة.

لقد غمرت النبي ﷺ بالحب والحنان، ومن دلائل حبها له وإيثارها لما يحبه أنها حينما رأت حبه لمولاها زيد بن حارث وهبته له عن طيب خاطر.

ولما آنست منه رغبة في أن يكفل أحدًا لأبناء عمه أبي طالب رحبت، وأفسحت للإمام علي ابن أبي طالب مكانًا كبيرًا في قلبها وبيتها، وكأنه أحد أبنائها.

جهادها في نشر دين الله:

لقد كانت خديجة قبل البعثه خلف زوجها الطاهر الأمين، تعينه علىٰ حياته النقية البعيدة عن الأوثان والخمر والميسر، فكانت معه في كل موقف من مواقف الدعوة، تتخطىٰ معه الصعاب، ومن أهم هذه المواقف:

1- **خلوة النبي ﷺ في الغار.**

وكان ذلك أول ارهاصات النبوة، وكانت خديجة تهيئ له الزاد كل عام ليقضي شهر رمضان في غار حراء، ولو كان الأمر لعاطفتها المجردة لما رضيت -كالمرأة-أن يغيب عنها زوجها ليله واحدة.

2- **اضطراب النبي ﷺ عند بداية نزول الوحي.**

بعد لقاء جبريل الأول بالنبي ﷺ عاد إلىٰ بيته مرتجفًا يقول: زملوني زملوني..... دثروني دثروني..... فاستوضحت خديجة منه الأمر فقال لها: يا خديجة لقد خشيت

علىٰ نفسي، فأخذت تثبته وتقول: والله لن يخزيك الله أبدًا.

ثم خرجت به إلىٰ بن عمها ورقة فقال له ورقة: **(أبشر يا محمد فهذا الناموس الذي نزل علىٰ موسىٰ وإنك لنبي هذه الأمة).**

ومن شواهد فطنتها وسلامة فطرتها هذا الموقف:

روىٰ ابن الأثير في **(أسد الغابة)** قول خديجة لرسول الله ﷺ: يا ابن عم، هل تستطيع أن تخبرني بصاحبك الذي يأتيك إذا جاءك؟ تقصد جبريل عليه السلام. قال: نعم. فبينما رسول الله ﷺ عندها إذ جاءه جبريل، فقال رسول الله: هذا جبريل قد جاءني، فقالت: أتراه الآن؟ قال: نعم، قالت: اجلس علىٰ شقي الأيسر فجلس، فقالت: هل تراه الآن؟ قال: نعم، قالت: فاجلس علىٰ شقي الأيمن فجلس، قالت: أتراه الآن؟ قال: نعم، قالت: فتحول فاجلس في حجري، فتحول رسول الله ﷺ فجلس، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم، فتحسرت **(أي: قعدت مكشوفة الرأس)**، وألقت خمارها، فقالت: هل تراه؟ قال: لا، قالت: ما هذا شيطان، إن هذا لملك يابن عم اثبت وأبشر.

وهذا الموقف يبين مدىٰ احتضانها رضي الله عنها لزوجها ووقوفها معه في محنته الأولىٰ في الدعوة إلىٰ دين الله.

3- **همّ الدعوة:**

كان النبي ﷺ حمل عبئا ثقيلا ً وهو كيف يدعو الناس إلىٰ هذا الدين الجديد ومن الذي سيصدقه.

وبينما رسول الله ﷺ بين ذراعي خديجة إذا به ينظر إلىٰ فراشه ويقول لها: انتهىٰ يا خديجة عهد النوم والراحة، فقد أمرني جبريل أن أنذر الناس، وأن أدعوهم إلىٰ الله وإلىٰ عبادته فمن ذا أدعو ومن ذا يستجيب؟

فقالت في حماس: أنا أستجيب يا محمد، فادعني قبل أن تدعو أي إنسان وإني لمسلمةٌ لك ومصدقة برسالتك ومؤمنةٌ بربك، فشعر بسكينة وراحة.

قال ابن اسحاق: **(كانت خديجة أول من آمن بالله ورسوله وصدّق بما جاء به، فخفف الله بذلك عن نبيه، فكان لايسمع شيئًا يكرهه من الرد عليه والتكذيب له فيحزنه ذلك ألا فرّج الله عنه بها إذا رجع إليها تثبته وتخفف عنه وتهون عليه أمر الناس).**

4- مسئولية البيت.

كانت خديجة رضي الله عنها تتحمل مسئولية أسرة كثيرة العدد وأعباء بيت له همومه واحتياجاته وهي سعيدة راضية، فلم ترهق زوجها بأعمال المنزل علىٰ كثرتها، وأخذت تشرف علىٰ تربية أولادها حتىٰ يتفرغ لأمر الدعوة.

5- في شعب أبي طالب.

فقد حملت خديجة الكثير من البلاء والشدة، وجاءت إليها المحن تباعًا، ولكنها لم تتنازل عن الحق أبدًا وتحملت شظف العيش والحرمان من نعيم الحياة، وحبست مع زوجها والمؤمنين في شعب أبي طالب ثلاث سنوات كاملة حتىٰ بلغ الجهد منهم كل مبلغ، ولكنها مع ضعف جسدها ووهن صحتها وتغيير ما اعتادت عليه من نعومة العيش وطيب المأكل والمسكن لم تعبأ بذلك في سبيل نصرة الحق والدين، ولقد كانت تشتري بمالها خفية طعامًا للمحاصرين حتىٰ نفذ أكثر مالها. فدعا لها النبي ﷺ، لقد عاصرت خديجة أشد الفترات العصبية في الإسلام، ولم تشهد أيام الفتح والنصر المبين، فقد رأت أول شهيدة في الإسلام، وشاهدت إيذاء قريش للمؤمنين، وعاصرت الهجرة إلىٰ الحبشة، ورأت ما يتعرض له زوجها كل يوم من بلاء، وهو يدعو الناس إلىٰ رب الناس، فلا يزداد مع البلاء إلا صبرًا وثباتًا.

6- إيذاؤها في بناتها

كان رسول الله ﷺ قد زوج ابنته زينب من (**أبي العاص بن الربيع**) التاجر الصادق الأمين؛ كما زوج ابنته رقية وأم كلثوم لعتبة وعتيبة ابني أبي لهب عم النبي ﷺ.

وبدا لزعماء قريش أن أشد الأمور إيذاءً لمحمد أن ترد بناته عليه، ثم جاءوا (**أبا العاص**) وسألوه أن يفارق امرأته زينب فرفض ذلك، وأما عتبة وعتيبة فقد وافقا علىٰ فراق رقية وأم كلثوم قبل أن يدخلا بهما، واكتفىٰ عتبة بطلاق رقية وأما عتيبه فلم يكتفِ بذلك بل زاد عليه أن ذهب إلىٰ النبي ﷺ وأسمعه ما يكره، فدعا عليه النبي فأكله أسد.

وتحملت الصابرة المجاهدة خديجة رضي الله عنها ذلك الأذىٰ في بناتها كذلك، ثم جاء عثمان بن عفان فخطب رقيه وتزوجها وتزوجها، ثم هاجر فيمن هاجر إلىٰ الحبشة، وكان ذلك بالتأكيد شديد أيضًا علىٰ قلب الأم الحنون خديجة رضي الله عنها ، ولكنه لون من ألوان الجهاد في الدعوة.

وفاة ووفاء:

ولقد كان وداع رقيه لأمها وداعًا لا لقاء بعده فقد توفقت خديجة قبل عودة ابنتها من الحبشة، وبعد الحصار الذي كان بالغًا في القسوة والشدة علىٰ امرأة قاربت الستين من عمرها.

وبعد وفاة خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تتابعت المصائب علىٰ رسول الله ﷺ وسمي هذا العام بـ **(عام الحزن)**.

توجد العديد من المواقف التي تدل على حب النبي ﷺ لخديجة ووفائه لها وذكره الدائم لفضلها: طوال حياته:

1- عن عائشة قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة فيقول: **(أرسلوا بها إلىٰ أصدقاء خديجة)** قالت: فأغضبته يومًا قفلت: خديجة؟ فقال رسول الله ﷺ: إني قد رزقت حبها[1].

2- جاءت **(أم زفر)** ماشطة خديجة إلىٰ المدينه المنورة، فأحسن النبي ﷺ استقبالها، وبالغ في إكرامها، وقال **(هذه كانت تغشانا في عهد خديجة)** وإن حسن العهد من الإيمان.

3- لما أراد النبي ﷺ فتح مكة أعطىٰ الراية الزبير، وأمره إن يغرزها بأعلىٰ مكة في الحجون **(حيث دفنت خديجة)** وقال له: لا تبرح حيث أمرتك أن تغرز رايتي حتىٰ آتيك، وهناك ضربت للرسول ﷺ الأعظم قبته، حيث اتخذ له مكانًا للقيادة يدير به معركة الفتح الأعظم، ومن هناك دخل أم القرىٰ بتأييد الله ونصره.

4- بعدما انتصر المسلمون في غزوة بدر أخذ النبي ﷺ يتلقىٰ فداء الأسرىٰ من قريش، فلا يكاد يلمح قلادة لخديجة بعثت بها ابنتها زينب في فداء زوجها الأسير **(أبي العاص بن الربيع)** حتىٰ يرق قلب النبي ﷺ في شجن، ويسأل أتباعه في أن يردوا علىٰ زينب قلادتها ويفكوا أسيرها.

5- أقبلت هاله بنت خويلد أخت خديجة يومًا لزيارة المدينة، وسمع النبي ﷺ صوتها في فناء بيته، وكان يشبه صوت العزيزة الراحلة فهتف خافق القلب: اللهم هاله....اللهم هاله.

---

(1) رواه مسلم في صحيحه (2435)، باب فضائل خديجة رضي الله عنها، من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

فما ملكت عائشة نفسها أن قالت: (**ما تذكر من عجوز من عجائز قريش – حمراء الشدقين –هلكت في الدهر، أبدلك الله خيرًا منها؟**)

فتغير وجه النبي ﷺ وزجر عائشة غاضبًا:

(**والله ما أبدلني الله خيرًا منها: آمنت بي حين كفر الناس، وصدقتني إذا كذبني الناس، وواستني بمالها إحرمني الناس، ورزقني الله منها الولد دون غيرها من النساء**) .

فأمسكت عائشة وهي تقول في نفسها: (**والله لا أذكرها بعدها أبدًا**)[1].

ملامح الشخصية:

* الفراسة وحسن الاختيار حيث اختارت خير البشر ليكون لها زوجا؛ رغم قلة ماله، وصغر عمره
* سعة الصدر والقدرة علىٰ الإحتواء ، والعاطفة الأمومية التي كان النبي ﷺ في أمس الحاجة إليها ، والتي غالبا ما يحتاجها كل رجل.
* والرجل يحتاج أن تكون زوجته تارة أم ، وتارة صديقة ، وتارة عشيقة ، والزوجة الذكية هىٰ التي تقوم بكل هذه الأدوار بحنكة واقتدار.
* العقل والحكمة وحسن التصرف؛ حيث تفهمت سريعًا موقف الوحىٰ وما يمر به النبي ﷺ من أزمة نفسية؛ فوقفت بجانبه ، وكانت سنده وعونه حتىٰ مرت بسلام.
* الصبر والجلد في تحمل مشاق الطريق مع زوجها عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.
* الحياة الزوجية شركة في الألام والآمال.
* الوفاء بين الزوجين من سمات المؤمنين الصادقين.

خواطر وعبر:

* **ونستخلص من هذا الزواج بعض العبر:**

1 – أن الفارق في السن بين الزوجين لا يؤثر في كونه زواجًا متكافئًا.

2 – أن علىٰ الشاب الذي يبحث عن الزواج ألا يجعل كل همه في شكل العروس وجمالها بقدر ما يعنىٰ بالعقل والحكمة والخلق القويم والأصل الكريم.

3 – أن علىٰ الفتاه أيضًا ألّا تبحث عن الشكل والهيئه وكثرة المال بقدر ما تبحث عن الدين والخلق.

---

(1) رواه أحمد في مسنده 6/ 117، من حديث عائشة رضي الله عنها.

4- أن المرأة يجوز لها شرعًا وعرفًا أن تخطب لنفسها من تراه كفؤًا لها، ولكن بأدب ووقار، وأن ترسل من يكون وسيطًا في ذلك، وأما إن كانت بكرًا فليفعل ذلك وليها.

وأعتقد أن في ذلك قمة الاحترام والتقدير للمرأة؛ حيث إن الإسلام أعطاها حق الاختيار والانتقاء كما أعطاه للرجل تمامًا.

أما ما نحن فيه الآن من عادات وتقاليد شعبنا ففيه ما يبخس المرأة حقها.

* * *